

جماليات التناص في شعر

رضا السيد جعفر

م.م. بلاسم حامد عداي

كلية الشرطة العراقية

Balismhamed@gmail.com 1978

أ.د شيماء محمد الزبيدي

جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

الملخص:-

قام البحث الموسوم بـ (جماليات التناص في شعر رضا السيد جعفر) على هيكلٍ تنظيميٍّ تمثّل بما يلي: (تمهيد ومبحثين ونتائج)، تناول التمهيد معنى التناص لغةً واصطلاحاً وأقوال العلماء في هذا المفهوم (التناص)، أمّا في المبحث الأوّل فتناولت معنى الجمال ونظرياته ومفهومه، وأشهر من كتب في المفهومين، أمّا في المبحث الثاني فهو مبحث تطبيقيّ يحمل عنون تجليات التناص في شعر رضا السيد جعفر، إذ عرّجت فيه على دراسة أنماط التناص الذي تناولها الشاعر، وقد تمثّل في القرآن الكريم وأسماء السور القرآنيّة، أما التناص الأدبي فتمثّل في التناص مع بعض الشعراء، وكذلك كان هناك تناص مع الرواية. وقد اعتمدت في دراستي على المنهج الوصفيّ؛ مقرونًا بالتحليل ومن ثمّ آليات ووسائل تتناسب مع الموضوع.

الكلمات المفتاحية: التناص، الجمال، الشعر. رضا السيد جعفر.



The Aesthetics of Intertextuality in the poetry of Redha Al-Sayeed Ja'afar

M. M. Balasem Hamed Ada

[Balismhamed @gmail 1978](mailto:Balismhamed@gmail.com)

Iraqi Police College

Abstract:-

This research which entitled "The Aesthetics of Intertextuality in the Poetry of Redha Sayeed Ja'afar," is structured as the following organization: an introduction, two sections, and conclusions. In the introduction I tackle the meaning of intertextuality in language and terminology, and scholars' viewpoints toward the concept of the intertextuality . The first section addresses the meaning of aesthetic, its concept, and the most famous authors who wrote on on the aesthetic and intertextuality. Whereas the second section is an applied study titled "Manifestations of Intertextuality in the Poetry of Redha Sayeed Ja'afar." I traced in this section the types of intertextuality that the poet addressed, as it represented in the names of Surahs and Quranic texts as well . Literary intertextuality, on the other hand, is represented by intertextuality with certain poets, as well as intertextuality with the novel. My study relied on the descriptive approach, coupled with an analytical instrument as a method that appropriate to the topic

Keywords: Intertextuality, Aesthetic, Poetry. Redha Al-Sayeed Ja'afar.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التمهيد

عرفت الساحة الأدبية ظهور عديد من المصطلحات التي عمل النقاد والدارسين على الاشتغال و الاهتمام بها، ومن أبرزها مصطلح التناص، فمنذ ظهوره على يد الباحثة البلغارية جوليا كرسنيفا تلقفه الدارسون العرب، الذين توسعوا في دراسته تنظيماً وتطبيقاً، وهو ما أسهم في تعدد المؤلفات النقدية المتخصصة فيه وثرائها.

التناس في اللغة: للتناص مجموعة دلالات فقد جاء في كتاب العين (نصت الحديث الى فلان، أي رفعته ونصت ناقتي أي رفعتها ... وانصته: استمعت اليه)¹، اما في معجم مقاييس اللغة فورد بمعنى مشابها لما تقدم إذ ان (النون والصاد اصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء الشيء منه قولهم، نص الحديث الى فلان أي رفعه إليه، والنص في السير ارفعه، يقال نصت ناقتي، ونصت الرجل، استقصيت مسألته عن الشيء حتى نستخرج ما عنده...)²، وفي قاموس المحيط وردت كلمة (المنصّة بالفتح : الحجة من نصّ المتاع.. ونصص غريمه وناصّه استقصى عليه وناقشه)³ ويرى فاضل ثامر⁴ انه ما يرد في المعاجم القديمة والحديثة من أنّ الدلالة للنص لم تكن غائبة كلياً في المعجم العربي.

أما بيان الكبيسي⁵، فيذهب في ملاحظة رجوع النص الى معنيين مشتق احدهما من الآخر، الأول: الرفع، والثاني الارتفاع، فهل النص رفع الشيء حتى يصل الى ارتفاع، او يعني الارتفاع والظهور نفسه وفي ملاحظة ان النص يطلق في اللغة على جانبيين من هذا، الرفع والارتفاع: الأول حسي يتناول الرفع والارتفاع كما يظهر للحواس نص المتاع، والثاني يتناول بشكل تجريدي لأشياء موجودة ظاهرياً أم غير موجودة، (نص الحديث) أي ان التراكيب حسي ومعنوي.

ويرد المختار الحسني⁶، على ما ابدوه العلماء من اراء في المعاجم العربية، وان النص حسب رأي الحسني، له عدة معانٍ منها الظهور وبلوغ الشيء منتهاه، ونص المتاع: أي

¹ كتاب العين، الخليل ابن أحمد الفراهيدي (170هـ) ط2، 1425هـ، ج3/1798م.

² معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (395) تح، شهاب الدين بن عمر ، دار الفكر بيروت، دار الفكر بيروت، ط2، 1998، ص:1029.

³ القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (807هـ) دار احياء التراث العربي، بيروت، 2، 2003، مادة نصص.

⁴ ينظر النص بوصفه إشكالية راهنة في النقد الحديث، فاضل ثامر، مجلة أقلام، ع3، س1992، ص: 16-17.

⁵ ينظر : التناص وبناء النص في الشعر العراقي المعاصر جيل الستينيات، رسالة ماجستير، بيان شاكر جمعة الكبيسي، اشراف علاء المعاضيدي، كلية التربية / جامعة الانبار/1999، ص:6.

⁶ ينظر مفهوم التناص خصوصية التوظيف في الشعر الإسلامي المعاصر بالمغرب، د. المختار الحسني،

وضع بعضه فوق بعض، وتناص القوم: ازدحموا، ولعل هذا المعنى يكون قريب الى حد ما من مفهوم التداخل الذي يتضمنه مفهوم التناص ، يقول عبد الملك مرتاض أن الأصل في المدلول اللغوي للنص هو (الرفع والاظهار وبلوغ الغاية في الشيء ولم نعثر على نصوص شعرية أو نثرية موثوقة تفيد المعنى المتداول على عهدنا)¹، يقول الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) (إذا بلغ النساء نص الحقائق فالعصمة أولى)²، الحقائق تعني المخاصمة، والمقصود من القول أن الجارية مادامت صغيرة فأمرها أولى بها، فإذا بلغت العصابة أولى بأمرها..... ومنه قوله قول الفقه..... (نص القرآن، ونص السنة، أي ما دلّ ظاهر لفظهما عليه من الاحكام)³.

التناص اصطلاحاً:

لقد تعددت التعاريف الاصطلاحية لمصطلح التناص في الخطابات النقدية الحديثة ومن بين الباحثين الغرب نجد جوليا كرستيفا، باختين ، ريفاتير ، تودوروف وغيرهم كما نجد أن النقاد العرب تأثروا بالباحثين الغربيين، ومنهم محمد بنيس، عبد الله الغدامي محمد مفتاح، وغيرهم، غير أن كل من هؤلاء لم يضع تعريفاً موحداً لهذا المصطلح⁴.

وإذا غصنا داخل فضاء النص الواحد نجد عددا من الملفوظات أخذت من نصوص أخرى تقاطعت معه وتفاعلت ، وبهذا التصور استطاعت جوليا كرستيفا، أن تقترح رؤية نقدية جديدة تؤكد انفتاحية النص الأبي على عناصر لغوية وغير لغوية، فهو عندها التناص - يعني (التقاطع داخل نص لتعبير قول ما أخذ من نصوص أخرى)⁵، إذ أن (كل نص هو تشرب وتحويل لنص آخر)⁶.

ومن ثم فلا يمكن فهم أي نص دون الرجوع إلى عشرات النصوص التي سبقتة، لأن وجود كل نص يفترض بالضرورة وجود نص أخذ منه أو تولد عنه.

1، مطبعة الجناح الجديدة، الدار البيضاء،ص:20.

¹ نظرية النص من بنية المعنى الى سيميائية الدال ، د. حسن خيرى، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط6، 2007،ص:46.

² النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ابي السعادات المبارك بن محمد، ج4/5/4 مؤسسه أسماء عليان للطباعة والنشر والتوزيع ، قم، ايران، ص: 22.

³ لسان العرب، ابن منظور، ج7،ص98.

⁴ ينظر: جمال مباركي: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري ري المعاصر، إصدارات رابطة الإبداع الثقافية، دار 2003، هومة، (دط)، الجزائر، ص:38.

⁵ التناص أنماطه ووظائفه في شعر محمد رضا الشيببي، على متعب جاسم ، مجلة اسط للعلوم الإنسانية، ع 10، كلية التربية، جامعة ديالي، ص 34

⁶ علم النص، جوليا كرستيفيا،ص:78.

كما نجد ميشال ريفاتير يشير لمصطلح التناص في كتابه انتاج النص"، حيث أعطاه طابعا تأويليا غدا معه آلية خاصة للقراءة الأدبية من مراتب التأويل الأدبي، ولهذا عرفه بأنه، إدراك القارئ للعلاقة بين نص ونصوص أخرى قد سبقته أو تعاصره¹.

كما نجد أيضا "رولان بارت وسع في تقنية التناص باعتباره أحد النقاد المتأخرين الذين لا ينكرون تصادم الحضارات وانفتاح الثقافات حيث يؤكد أن: (التناص يمثل تبادلا، حوارا ورباطا، تفاعلا بين نصين أو عدة نصوص في النص تلتقي عدة نصوص، تتصارع مع بعضها فيبطل أحدهما مفعول الآخر²).

ومن خلال تعريف بارت يتضح أن التناص يمثل اتحاد نصوص وتجاوزها مع بعضها البعض وبهذا التفاعل ينتج لنا نص جديد بعد تهديم نص آخر، وبالتالي تتولد لنا نصوص إبداعية جديدة ممزوجة بنصوص قديمة

ومصطلح التناص من المصطلحات النقدية الحديثة والمعاصرة، التي تنتمي إلى مرحلة ما بعد البنيوية، فقد شغل هذا المصطلح حيزا كبيرا من اهتمامات نقاد الأدب المعاصرين على اختلاف مناهجهم ورواهم، فاشتغل به البويطقي والسيميوطيقي والاسلوبي والتداولي وغيرهم، كما اختلفت تصورات الدارسين لهذا المصطلح النقدي وضبطه، فأدرجه بعضهم ضمن الشعرية التكوينية، فيما تناوله بعضهم الآخر في إطار جمالية التلقي، واعتبره آخرون من مكونات لسانيات الخطاب التي تتحكم في نصية النص³.

المبحث الأول

الجمال والجمالية

يظهر الجمال في كل النصوص الأدبية المتميزة، فهو سمة بارزة سهلة التذوق بالنسبة للقارئ الحاذق، فهو يسعى لكشف كينونته واستفتاح مغالقتها.

والجمال أو الجمالية ليست سمة مقصورة على الاعمال الأدبية فقط، بل هي خاصية تميز كل ما تسعد النفس يتذوقه وترتاح، لمتابعته، فهو ظاهرة تنطبق على كثير من حياتنا اليومية، كالملابس، والسيارات، والطعام، وغيره من الحاجات التي تبدو عليها سمة الجمال، فالقيمة الحقيقية للنص يظهرها الجمال، وهو يمد القارئ بلذة القراءة بعيدا عن الحصول وعن الأفكار والخلفيات المسبقة، فأني نص أدبي، أو عمل فني له هدف محدد أو غاية معينة، فالكاتب أو المبدع لا يكتب نصا تتوفر فيه الشروط الجمالية فقط دون أن

¹ ينظر: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية وتطبيقية، عبد القادر بقشي افريقيا الشرق، (د ط)، 2007، الدار البيضاء، ص: 20.

² بشير تيروريت وسامية راجح: التكيكية في الخطاب النقدي المعاصر، ص 60.

³ ينظر: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، عبد القادر بقشي، ص 17.

يحمل قيمة أخلاقية وحياتية؛ ذلك أن الجمال كل متكامل يتشكل بتضافر عدة عناصر تشترك في تحقيق و إدراكه وتذوقه حواس مختلفة تتفاعل مع القلب والعقل، لتتحقق المتعة الفنية المنشودة .

وإِذَا بحثنا عن حقيقة المصطلح في المعاجم اللغوية العربية فإننا نجد ان للجمال معانٍ عديدة منها ما ذكره ابن منظور في لسان العرب إذ يقول (الجمال مصدر الجميل، والفعل جَمَلٌ والحسن يكون في الفعل والخلق ، وقد جَمَلُ الرجل (بالضم) جَمَالاً ، فهو جميل وجمال)¹.

(وَجَمَلُهُ أَي زَيْنُهُ ، وَالتَّجَمُّلُ تَكَلَّفُ الْجَمِيلِ ، جَمَلُ اللَّهِ عَلَيْكَ تَجْمِيلاً إِذَا دَعَوْتَ لَهُ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ جَمِيلاً حَسَنًا ، وَامْرَأَةٌ جَمَلَاءُ وَجَمِيلَةٌ أَي مَلِيحَةٌ)²

قال ابن الأثير والجمال يقع على المعاني ومنه الحديث (إن الله جميل يحب الجمال)³، أَي كامل الأوصاف و الأفعال.

أورد الزمخشري في أساس بلاغته (مادة ج م ل) : فلان يعامل الناس بالجميل ، وَجَامِلٌ صَاحِبُهُ مُجَامَلَةٌ ، وَعَلَيْكَ بِالْمَدَارَةِ وَالْمَجَامَلَةِ مَعَ النَّاسِ ، وَقَوْلُ : إِذَا لَمْ يُجْمَلْكَ مَا لَكَ لَمْ يُجَدِّ عَلَيْكَ جَمَالُكَ ، وَأَجْمَلُ فِي الطَّلَبِ إِذَا لَمْ يَحْرُصْ ، وَإِذَا أُصِيبَتْ بِنَائِبَةٍ فَتَجَمَّلَ أَي تَصَبَّرَ ، وَجَمَلُ الشَّخْمِ : أَدَابُهُ وَاجْتِمَالٌ ، وَتَجَمَّلَ أَكُلُ الْجَمِيلِ وَهُوَ الْوَرُكُ ، وَقَالَتْ أَعْرَابِيَةٌ لِبِنْتِهَا تَجْمَلِي وَتَعَفِّي ، أَي كَلِي الْجَمِيلِ ، وَاشْرَبِي الْعَفَافَةَ ، أَي بَقِيَةَ اللَّبَنِ فِي الضَّرْعِ ، وَاسْتَجْمَلُ الْبَعِيرُ : صَارَ جَمَلًا ، وَنَاقَةٌ جَمَالَةٌ فِي خَلْقِ الْجَمَلِ ، وَرَجُلٌ جَمَالِي : عَظِيمُ الْخَلْقِ ضَخْمٌ⁴.

فالجميل من الناحية المادية هو الحسن و الوضاء ، والملح ، والحوو، واللطيف والوسيم،

والخلاب، وهو ما يبعث السرور و البهجة والاثارة في النفوس سواء تعلق الأمر بالأمور المادية أو المعنوية أو الأفعال والأخلاق.

وقد وردت صيغة الجميل في القرآن الكريم في عدة مواضع منها : قوله تعالى : (قَالَ بَلْ سَأَلْتَهُ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرًا جَمِيلًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)⁵ وفي قوله تعالى : (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ

¹ ابن منظور : لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر ، (دظ)، (دب)، ج 6، ص 685.

² ابن منظور، لسان العرب: 685

³ م. ن. م . : 685.

⁴ الزمخشري: أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج1، ص 148.

⁵ يوسف83

وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَأَنْصَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ تَمِيلُ¹ وقوله تعالى: (وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا)².

وإن الحديث عن الجمالية واسع ومتفرع، فالجمالية قد تكون في النصوص الأدبية سواء نثرية أم شعرية، فنجد هذا المصطلح تعرض له العديد من المؤلفين وتناولته مجموعة من المعاجم والقواميس.

كما ظهرت أيضا عدة تعاريف للجمال، فنجد تعريف "سانت أوغستين للجمال فيقول: (الجمال عموما بأنه الوحدة، وجمال الجسم بأنه توافق الأجزاء مع جمال اللون)³.

ومن هذا القول نستنتج أن الجمال كلي وليس جزئي.

وهناك تعريف آخر ل هيرت في مقاله عن الجمال في الفن"، والجمال في رأيه هو: (الكمال الذي يمكن أن يدركه موضوع منظور أو مسموع أو متخيل)⁴.

كما نجد أيضا "بول فاليري يعرف الجمال بقوله: (الجمال علم الإحساس)⁵.

أي أن الجمال لا يدرك بالعقل بل بالإحساس، فعند ما ننظر إلى منظر طبيعي بحواسنا نشعر بما هو جميل فيه ونتذوقه. فالجمالية مشتقة من الجمال، والحديث عنها منضوي تحت لواء علم الجمال فالجمالية بمعناها الواسع محبة الجمال⁶.

- و الجمالية اتضحت معالمها في القرن التاسع عشر، والتي تسعى للبحث عن القيمة الحقيقية للعمل الفني، وهي القيمة الجمالية الخالصة، فالأعمال الفنية تستمد قيمتها من ذاتها⁷

¹ الحجر 85.

² المزمّل 10.

³ الأُسس الجمالية في النقد العربي (عرض وتفسير ومقارنة)، عز الدين إسماعيل: دار الفكر العربي، القاهرة، 40مصر، (د.ط)، 1992، ص: 40.

⁴ المدخل إلى علم الجمال (فكرة الجمال)، هيقل، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1978 ص 92.

⁵ معنى الفن، إيد محمد الصقر: دار المأمون للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص 98.

⁶ ينظر: الجمالية، رف جونسن تر: عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي، م 1، المؤسسة العربية للدراسات، (دب)، ط 2، 1983، ص: 269..

⁷ ينظر: دراسات في علم الجمال، محمد عبد الحفيظ دار الوفاء الإسكندرية، مصر، ط1، 2004، ص 5.

وقد جاء في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : (أُنّ الجمالية هي نزعة مثالية تبحث في الخفيات التشكيلية للنتاج الأدبي والفني، وتختزل جميع عناصر العمل في جماليته، وترمي النزعة الجمالية إلى الاهتمام بالمقاييس الجمالية بغض النظر عن الجوانب الأخلاقية ، انطلاقاً من مقولة الفن للفن ، كما ينتج كل عصر جماليته إذ لا توجد جمالية مطلقة بل جمالية نسبية تساهم فيها الأحيال والحضارات والإبداعات الأدبية والفنية . ولعل شرط كل إبداعية هو بلوغ الجمالية إلى إحساس المعاصرين)¹.

الجمال عند الفلاسفة.

يعد موضوع الجمال من المواضيع التي اُثارت جدلاً كبيراً في أوساط الفلاسفة والمفكرين، سواء الغرب أم العرب، فتناولوا هذا الموضوع وتوسعوا في الحديث عنه ، ومن أشهر هؤلاء الفلاسفة هيغل ، أفلاطون ، كانط.

الجمال عند أفلاطون

تبلورت مفاهيم الجمال عند الفيلسوف اليوناني أفلاطون من العناصر الموجودة في عالم المثل الذي يتصف بالحق والخير والجمال .

فأفلاطون ربط بين الأُخلاق والجمال، انطلاقاً من أن الجمال ينبغي أن يعبر عما هو أُخلاقي والجمال عنده درجات فهناك جمال الجسم أسفل درجات الجسم وأسمى منه جمال النفس والأُخلاق ويعلوه درجة جمال العقل وفي القمة يقع الجمال المطلق².

ونلاحظ من المقولة السابقة أن أفلاطون ربط الجمال بالأخلاق، وأن الجمال لا يأخذ بعين الاعتبار إلا إذا كان يعبر عن قيم وصفات أخلاقية والجمال عنده ليس جميلاً من جهة وقبيحاً من جهة أخرى، وإنما الجمال المطلق عنده ما كان نابعاً من العقل والأخلاق وليس جمال الجسم الذي يعتبره مجرد نزوة عابرة .

وإن الجمال في المثال جمال مطلق، أما في الأشياء فهو نسبي، وتكون الأشياء جميلة عندما تكون في موضعها وقبيحة عندما تكون في غير موضعها، ولكن الأشياء لا تنقسم إلى قسمين : جميلة وقبيحة ، بمعنى أن ما ليس جميلاً لا يكون قبيحاً حتماً،

¹ معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش: دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص 62.

² ينظر: مدخل إلى النقد اليوناني القديم، أشرف محمود نجا: دار الوفاء، الإسكندرية، مصر ، (دط)، (دت) ، ص 121

وإنما هناك مرحلة يخلو فيها الشيء عن هذين الموضوعين ، ومثال ذلك غير العالم لا يكون حتما جاهلا، وإنما هو وسط بين طرفين متناقضين¹.

الجمال عند إيمانويل كانط.

لقد حدد الفيلسوف الألماني " إيمانويل كانط (مفاهيم الجمال في كتبه "نقد الحكم الخالص) أَيْ الحكم الجمالي على الأشياء من خلال ملكة التذوق الجمالي وعرض الكتاب قضية الجمال الخالص والنسبي، وتناول الفرق بين الجليل والجميل، وأثبت أن الجمال يبعث السرور والبهجة والسعادة دون تصور مسبق للجمال، وذلك لأن الإحساس بالجمال عام وليس خاص ، وأن الإحساس يصعب قياسها ، إذن، فالجمال عنده سمة كلية عامة، والجمال عنده لا علاقة له بالمنفعة أو إشباع رغبة مادية ، بل هو البهجة والإستمتاع الجمالي.

ويمكن تلخيص رؤية كانط للجمال في:

- إن الجميل لا يرتبط بتحقيق فاي دة أو لذة حسية بل طابع كلي يسري على الجميع.

- وطبيعة الفن والفنان عند كانط تكمن في إنتاج موضوع فني من إخضاعه للحكم الجمالي ومن ثمة يقوم بإخضاع الذوق لدينا ، ويرى أن عالم الفن وسط بين عاملين الحسي والعقلي ، أي هو حلقة اتصال وبالتالي فموضوع الفن هو الجمال والجلال²

- الجمال عند العرب

إن الأصول الفلسفية لمفاهيم الجمال في الحضارة الإسلامية تتبع من الجوهر الفكري للإسلام، قوله تعالى: (وَأَكْمَرْنَا فِيهَا جَمَالَ جِبْنَ ثُرَيْحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ³)

فهي زاخرة بالجمال الروحي والمادي، و إذ حاول المفكرون العرب تتبع الظواهر الجمالية ومفاهيم الجمال المبتوثة في الحضارة الإسلامية العريقة، فهذه الأفكار الجمالية ما تزال تنبض حتى الآن ، وإن كانت قد أغفلت بسبب الجهل واللامبالاة أو بسبب الغزو الثقافي الغربي، ومن هو لاء المفكرين المسلمين الذين عبروا عن رؤيتهم للجمال: نجد أبي حيان التوحيدي ، ابن سينا ، أبو حامد الغزالي ... وغيرهم.

المبحث الثاني

تجليات التناسل في شعر رضا السيد جعفر

¹: الأُسس الجمالية في النقد العربي، عز الدين إسماعيل ص 37.

² ينظر: أنصار محمد عوض الله الرفاعي : أصول الجمالية والفلسفية للفن الإسلامي، ص392

³ النحل6.

يهدف هذا المبحث إلى رصد أهم جماليات التناصات التي اعتمدها رضا السيد جعفر في شعره في التعبير عن تجربته الشعرية، ومدى الاستفادة من توظيف ذلك الشعر فنيا وبيان سعة خزينته الأدبية، وعلاقته بالثقافة العربية والإسلامية.

عمدت إلى استخراج أغلب التناصات الموجودة في ديواني (انكسارات شاهقة وخطاطة لتاريخ المبتدأ والخبر) وشرحتها ومن أنواعها التي جاءت في هذين الديوانين، يأتي في المقام الأول التناص الديني: القرآن الكريم والحديث الشريف، اللذان تمركزا موقع كل منهما في بنية النصوص، وذلك لأن الموروث الديني يضيف على التجارب الشعرية سر عجيب ورونقا وجمالا، يضاف إلى ذلك التناص مع النصوص الدينية، والشخصيات الدينية، ومع التناص الأدبي (شعر قديم، رواية، أمثال شعبية)، والتناص التاريخي فقد كانت الدواوين زاخرة بكل أنواع التناصات المذكورة آنفا وكان توظيفها توظيفا فنيا، وهذا ما يدل على ثقافة الشاعر الاجتماعي. الواسعة ومواكبته للأحداث، والواقع الاجتماعي.

1/ التناص الديني

1-2 التناص مع القرآن الكريم.

القرآن الكريم هو المرجع الأول، والنص السامي، الذي يلجأ إليه الشعراء فهو يفيض بالصياغة الجديدة، ولقد أُعطى القرآن الكريم الحرية في التأمل الجمالي والكتابة، ودعا إلى الاعتراف من منله العذب، إلا أن الشعراء العرب القدماء لم يدركوا هذه الناحية التي تؤدي إلى الخلق والإبداع¹.

فالتنصيص الديني هو تداخل النصوص مع نصوص دينية معينة عن طريق الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم، أو من الحديث النبوي الشريف، أو من الكتب السماوية المختلفة، و القرآن كتاب المسلمين، ودستور البشرية ووحى من السماء أنزل على خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فانار الأفاق.

فقد وظف الشاعر رضا السيد جعفر - النصوص القرآنية لأنها من أهم المصادر التي ينهل ويعبر بها الشعراء في قصائدهم، فالتنصيص القرآني يجعل الشاعر يميل بلغته صوب آفاق التعليق، بواسطة الإشارة والإيحاء، فالإشارة القرآنية تغني النص الشعري وتكسبه كثافته التعبيرية، وتعطيه تطابقا بين وظيفة الإشارة وسياق المعاني².

وفيما يأتي استعراض لأهم نماذج التناص في ديوانيه وسنوضحها كالآتي:

¹ ينظر: التناص وجمالياته في الشعر المعاصر، جمال مباركي، دار هومة، (د ط)، (د.ت)، الجزائر، ص: 167.

² ينظر، الصوفية في الشعر العربي المعاصر المفهوم والتجليات، محمد بن عمارة شركة النشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2001، ص 10.

قوله في قصيدة رسول الخلاص الاخير:

وإذ أكل الإنسان لحم جناحه
وأنت تقيم القسط بالحب مترعاً
و أغمضَ عن أحلامه و هي تُنحَرُ
بعطرِ سماواتٍ على الحبِ تُفطرُ¹

إن القراءة المتأنية لهذه الأبيات ، تبين بوضوح ازدحام الفضاء التناصي بنصوص غائبة مركزية وأخرى ثانوية مدعمة لها تتبني على علاقات التالف والتعالق، ومن النصوص الموظفة كقوله تعالى(أُحِبُّ أَوْ حَذُّكُمْ أَوْ نِيَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنَاهُ)² فالآية الكريمة تمثل بنية في النص الحاضر، وظفها الشاعر عن طريق الاقتباس فهي تمثل امتدادا ومفتاحا للتشابك الدلالي بين النص القرآني من جهة والنص الشعري من جهة أخرى ، وكذلك الآية (وَأَنْ تَقُومُوا لِلَّيْتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ ۖ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا)³

ففي هذه الآية تعالق نصي مع البيت الشعري من حيث الدلالة، فهنا وظف الشاعر كلمة من الآية القرآنية وهي كلمة القسط وفي كلا النصين فان هذه الكلمة تجسد معنى الرقة والالفة والتسامح. وفي البيتين يقول الشاعر:

فيا أيها المزمّل انفضّ عقدنا
ويا أيها المدثر انشقّ دفوننا
و ها هوَ في كلِّ الصراعاتِ يُنثرُ
و ليس لنا في مذبج الشكِّ منزرُ⁴

في هذه الأبيات نجد الشاعر وظف سورتي من القرآن الكريم وهي سورة المزمّل وسورة المدثر حيث أشار للفظه من ألفاظها، فقد حور النص القرآني تحويرا جماليا مما أكسب البيت بعدا جماليا وإيحائيا وداليا متعدد ، والجميع يعرف بقصة المزمّل والمدثر وهي مسألة خاصة بالرسول محمد (ص) عندما نزل عليه الوحي، فأشار بلفظة المزمّل و المدثر، وهو تناص مع الآية في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الْمَرْمِلُ @ فَمِ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلًا)⁵ وكذلك الآية (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ @ فَمَ فَأَنْذِرْ)⁶

وفي موضع آخر استحضر الشاعر قصة سيدنا يوسف عليه السلام، فهذه القصة مفعمة بالأحداث وتحمل دلالات إيحائية عميقة، مما يستوجب القراءة المتكررة لفك قيود هذا التناص فالقصة أحداثها متفرعة ومتعددة، فالقاري المتميز هو الذي يفهم ويستخرج الأحداث التي تدور في ثنايا الأبيات الشعرية التي وظفها الشاعر عن طريق التناص

¹ خطاطة لتاريخ المبتدأ والخبر، رضا السيد جعفر، دار ماشكي للطباعة والنشر - الموصل- 2022، ص: 4.

² الحجرات 12.

³ النساء 127

⁴ خطاطة لتاريخ المبتدأ والخبر، ص: 5.

⁵ المزمّل 1، 2

⁶ المدثر 1، 2

الحواري و الاجتراري كذلك ليكسب دلالات اِيحائية جديدة، ويكون معادلا موضوعيا ينسجم مع احساسه والنص الديني الذي وظفه في اَن واحد، فقد ذكر في قصيدة "ما لم تسمعه الريح.

على يوسف الأحلام تُشعلُ دمعها و تُلقي ببعقوب الجراح إلى الجب!1

فحضور النص الديني من اُبرز وسائل التعبير عن الحالة النفسية للشاعر فهو يتألم ويتحسر على الوضع السياسي الذي اَلت اِلِيه الدول العربية، وخاصة ضياع بغداد والقدس و اُصبحوا تحت قبضة الغرباء والمحتلين، فالنبي يوسف تعرض للظلم والافتراء من طرف زوجة العزيز التي راودته عن نفسها واتهمته بالباطل و اَل ماله للسجن، فالشاعر يتحايل على الالفاظ مما يكسب التناص نوعا من المرونة، فالشاعر اِلَى جانب تحويره لقصة يوسف يتناص مع قوله تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَ اَلَّتِ الباب)

وفي قصيدة ام في ذاكرة الغريب² نجد الشاعر استحضر قصة سليمان ع والهدهد واستحضر هذه الشخصية كان له دور محوري في اِضفاء لمسة جمالية وفنية على القصيدة لما في هذه الشخصية من قوة وصلابة من جهة ومن رحمة وحنان من جهة اُخرى، وذلك في قوله:

و اِنَّ هُدُودَهُم عَنِّي على سبأ و لي مَسَلَّةٌ شك من سليمان³

2- التناص الادبي.

يعد التناص الابدبي عبارة عن تداخل نصوص اُدبية قديمة مع نصوص اُدبية حديثة اُو معاصرة سواء كانت هذه النصوص لكاتب واحد اُو لمبدعين اُخرين. ويكمن هذا الاستحضر في خلق نوع من التمازج و التعالق بين القديم والحديث، فينتج عنه نص شعري جديد بلمسة فنية وجمالية جمعت بين ما هو قديم وما هو جديد، حيث يقول الشاعر رضا السيد جعفر:

ستعاديك يا ابن أم الرزايا الأُنفس⁴

مستوحيا لفضة الرزايا من البيت الشعري للشاعر محمد علي الاحسم:

وهونت الرزايا الاِتية

¹ خطاطة لتاريخ المبتدأ والخبر، ص34

² انكسارات شاهقة، رضا السيد جعفر، دار الكتيب للترجمة والنشر ، ط1، 2021 ص:21.

³ انكسارات شاهقة، رضا السيد جعفر:ص21.

⁴ خطاطة لتاريخ المبتدأ و الخبر، الديوان، ص 34.

يلجأ الشاعر إلى استحضار الشعر ما يلاءم القديم، عامداً إلى خلق نسق حوارى يقوم على تعدد الأصوات وذلك لإثراء تجربته الشعرية، إذ نجد بعض أحداثه تطابق الواقع فيستلهمها ويوظفها مع موضوعه الشعري، كى يُوَدِّي دوراً محدداً في إنتاج شاعريته، ومن الأبيات الشعرية التي استحضرها الشاعر قوله:

داسوا على رنة السبع العجاف و لم (تجر الرياح بما لا تشتهي) الفصع¹

في الأبيات السابقة نجد الشاعر وظف بيت المتنبي فاستحضر عجز البيت لا البيت ككل، ونجد استدعاء الشاعر لبيت المتنبي يدل على مدى تفاعل الشاعر وتأثره بما يرتبط به ليلفت انتباه القارئ، ويكشف عن دلالات جديدة، يقول المتنبي:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

ف نجد في هذا البيت أن الشاعر استحضر بيت المتنبي، ولكن بطريقة حوارية وهي إحدى الطرق التي يوظفها الشاعر لتضفي صبغة جمالية على القصيدة.

والشاعر استحضر أيضاً وبطريقة الحوار، قصيدة الشاعر محمد مهدي الجواهري، في قصيدته اشرق غير مؤقت من ديوانه انكسارات شاهقة فيقول:

يرأؤها الساسة المطفون
و يقصدها المشرقون الجياع
سلام على سره إذ يبين
و فيطمهم دفوها المعذق
فيلطمهم ضوؤها المحنق
و إذ يتخفى و يستغلق²

وهذا يدل على ثقافة الشاعر الواسعة، ومدى ارتباطه بالتراث القديم ونهله منه، " فالشاعر محمد الجواهري يقول:

نامي جياع الشعب نامي
نامي فإن لم تشبجي
نامي على زبد الوعود
حرسك آلهة الطعام
من يقظة فمن المنام
يُذاف في غسل الكلام

فالشاعر استحضر هذه المجموعة من الأبيات، ليعبر عن تحسره وألمه بما جرى في العراق من خراب ودمار فهذا حال الشاعر في زمن الاحتلال، كان يطلب النوم للجياع من الشعب كونه السبيل الوحيد للخلاص من الجوع، والشاعر رضا السيد جعفر لم يكتب أبياته بطريقة عفوية أو صدفة بل يدل على تفاعل الشاعر وتأثره بما يرتبط بالواقع الذي يعيشه وبالحالة المشابهة مع فارق الزمن، والشاعر أيضاً استعمل وبطريقة الحوار، محمد مهدي

¹ خطأ لتاريخ المبتدأ والخبر، الديوان، ص33.

² انكسارات شاهقة، رضا السيد جعفر، ص:58.

الجواهري في قصيدته في استعماله لكلمة سلامٌ فهي أيضاً مأخوذة من قصيدة الجواهري الذي يقول بها:

سلامٌ على هضباتِ العراقِ وشطّيهِ والجُرفِ والمنحنى
سلامٌ على باسقاتِ النخيلِ وشمّ الجبالِ تُشيعُ السنّا

وكان لجماليات التناص في الرواية أثرٌ واضح، فنجد الشاعر رضا السيد جعفر فقد استحضر رواية اقتفي اثرى للراوي حميد العقابي وذلك في قصيدته في ارض غريبة الذي يقول فيها:

لي مثلهم وطن¹
و لكني أُفْتِش عن حدودي فيه
و الصحراء تخذلني .
عندي من الاُصفاد ما يكفي لاُسماي ُ
و اُلوانى تسافر
بين حزني و المرايا

وهنا تناص وبطريقة اجترارية، إذ وازن الشاعر بين رحلة العودة ورحلة المنفى وحجم التغيير الذي طرأ على مشاعر كل مسافر خارج وطنه وما يعي من تجليات سايكولوجية التي يسارع بها الذات عند عودته الى وطنه، وهذه الاستكشافات كلها تناولها حميد العقابي في روايته (اقتفي اثرى)².

ويمكن القول ان التناص قد يحصل بمجموعة محددات منها ما تكون دينية و اجتماعية و اخلاقية للاداء، ويكون المهيمن على تحقيق اُدائها والموجه لها هو القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الشعر أو أي جنس ادبي آخر.

¹ انكسارات شاهقة، رضا السيد جعفر، ص:62.

² اقتفي اثرى، حميد العقابي، طوى للثقافة والنشر، ط1، 2009، ص:7.

النتائج

- لا يمكن فهم أي نص دون الرجوع إلى عشرات النصوص التي سبقته؛ لأن وجود كل نص يفترض بالضرورة وجود نص أخذ منه أو تولد عنه.
- من خلال تعريف بارت يتضح أن التناص يمثل اتحاد نصوص وتجاوزها مع بعضها البعض مما ينتج نص جديد بعد تهديم نص آخر، وبالتالي تتولد نصوص إبداعية جديدة ممزوجة بنصوص قديمة.
- إن الأصول الفلسفية لمفاهيم الجمال في الحضارة الإسلامية تتبع من الجوهر الفكري للإسلام.
- لقد وظف الشاعر نصوصه الشعرية وكان توظيفها توظيفا فنيا، وهذا ما يدل على ثقافة الشاعر الاجتماعي. الواسعة ومواكبته للأحداث، و الواقع الاجتماعي.
- لقد تبين من خلال القراءة المتأنية لنصوص الشاعر، وضوح ازدحام الفضاء التناصي بنصوص غائبة مركزية وأخرى ثانوية مدعمة لها تنبني على علاقات التالف والتعالق من خلال الآيات القرآنية.
- حضور النص الديني من أبرز وسائل التعبير عن الحالة النفسية للشاعر مما يجعله في مقدمة الاجناس التي يعتمدها في التناص.
- من خلال الاطلاع على ديواني الشاعر تبين لنا عمق ثقافة الشاعر الواسعة، ومدى ارتباطه بالتراث القديم ونهله منه.

المصادر والمراجع

- التفكيرية في الخطاب النقدي المعاصر، بشير تيروريت وسامية راجح، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، 2010.
- التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية وتطبيقية، عبد القادر بقشي افريقيا الشرق، (د ط)، 2007، الدار البيضاء.
- التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، جمال مباركي، إصدارات رابطة الإبداع الثقافية، دار 2003، هومة، (دط)، الجزائر.
- التناص خصوصية التوظيف في الشعر الإسلامي المعاصر بالمغرب، د. المختار الحسني، ط1، مطبعة الجناح الجديدة، الدار البيضاء.
- التناص وجمالياته في الشعر المعاصر، جمال مباركي، دار هومة، (د ط)، (د.ت)، الجزائر .
- التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، عبد القادر بقشي، دار نشر افريقيا، ط1.
- ما الجمالية، رف جونسن تر: عبد الواحد لُوْلُوَّة، موسوعة المصطلح النقدي، م 1، الموسسة العربية للدراسات، (دب)، ط 2، 1983.
- لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د ط)، (دب)، ج6.
- أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج1.
- الأُسس الجمالية في النقد العربي (عرض وتفسير ومقارنة)، عز الدين اِسْماعيل: دار الفكر العربي، القاهرة، 40مصر، (دط)، 1992.
- الصوفية في الشعر العربي المعاصر المفهوم والتجليات، محمد بن عمارة شركة النشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2001.
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (807هـ) دار احياء التراث العربي، بيروت، 2، 2003.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ابي السعادات المبارك بن محمد، ج5/4 ط1/ مؤسسه اسما عليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ايران.
- اُصول الجمالية والفلسفية للفن الاِسلامي، اُنصار محمد عوض الله الرفاعي، مكتبة الإسكندرية/ مصر، ط1.
- اقتفي اثري، حميد العقابي، طوى للثقافة والنشر، ط1، 2009.
- انكسارات شاهقة، رضا السيد جعفر، دار الكيتب للترجمة والنشر، ط1، 2021 .
- دراسات في علم الجمال، محمد عبد الحفيظ دار الوفاء الاِسكندرية، مصر، ط1، 2004.

- انكسارات شاهقة، رضا السيد جعفر، دار الكيتب للترجمة والنشر، ط1، 2021.
- علم النص، جوليا كرستيفيا، تر، فريد الزاهي، ط3، دار توبقال/ المغرب، 2014.
- كتاب العين، عبد الرحمن الخليل ابن احمد الفراهيدي (170هـ) ط2.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (395) تح، شهاب الدين بن عمر ، دار الفكر بيروت، دار الفكر بيروت، ط2، 1998.
- المدخل إلى علم الجمال (فكرة الجمال)، هيفل ، تر : جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1978.
- معنى الفن، ابياد محمد الصقر، دار المأمون للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2010.
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش: دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985.
- مدخل إلى النقد اليوناني القديم، أشرف محمود نجا: دار الوفاء، الإسكندرية، مصر.
- نظرية النص من بنية المعنى الى سيميائية الدال ، د. حسن خيرى، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط6، 2007.
- الرسائل والدوريات.
- التناص وبناء النص في الشعر العراقي المعاصر جيل الستينيات، رسالة ماجستير، بيان شاكر جمعة الكبيسي، اشراف علاء المعاضيدي، كلية التربية / جامعة الانبار/1999.
- ينظر النص بوصفه إشكالية راهنة في النقد الحديث، فاضل ثامر، مجلة أقلام ، ع3، س1992.
- التناص أنماطه ووظائفه في شعر محمد رضا الشبيبي، على متعب جاسم ، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، ع 10، كلية التربية، جامعة ديالى.